

تاريخيا يعد الفقيه الشيعي " محمد بن مكي العاملي) ولد في قرية جزين جنوب لبنان عام 927هـ واعدم في دمشق سنة 687هـ و سمي عند الشيعة بالشهيد الاول) أول من طرح موضوع ولاية الفقيه وعين نفسه نائباً للإمام المهدي والمهياً لظهوره " و كان أول من استخدم مصطلح " الفقيه الجامع للشرائط " في الفقه الشيعي " و أول من أفتى بضرورة اعطاء الخمس للفقيه الجامع للشرائط " و أول من قال بعدم جواز إقامة صلاة الجمعة في ظل غيبة الإمام المهدي و أن الصلاة لا تصح إلا بوجوده. غير أنه لم يناقش موضوع ولاية الفقيه بشكل مستقل وتفصيلي في أين من كتبه ولكنه تطرق لها بشكل عابر في كتابه " اللمعة الدمشقية - سنة 287هـ " الذي هو من كتب الفقه الأساسية التي تدرس في الحوزة الدينية الشيعية " وذكرها أيضا في مقدمة كتابه " ذكرى الشيعة - سنة 487هـ " .

لقد عمل محمد بن مكي بعد عودته الى قريته جزين سنة 067هـ " التي كان غادرها الى العراق بهدف طلب المزيد من العلم " على بث دعوته وعين له وكلاء في المدن والبلدات اللبنانية لنشر عقائده وأفكاره وصار له أتباع ومريدون ولكن سرعان ما اخذ بتغيير هدفه وتحولت حركته الفقهية الى عصابة مسلحة تسعى في الوصول الى السلطة " ولهذا بدأ بعض أنصاره البارزين بالابتعاد عنه متهمينه بالغلو والانحراف في الفكر والعقيدة مما دفعه الى الإفتاء بقتل بعضهم .

وابرز من قتل من أصحابه المنشقين بحكم هذه الفتاوى " شخص يدعى " محمد الياوشي " الأمر الذي دفع أنصار الياوشي وعلى رأسهم " تقي الدين الخيامي " للتعاون فيما بعد مع سلطة المماليك في دمشق لإلقاء القبض على بن مكي. وبعد القبض عليه قامت سلطة المماليك بجمع تواقيع سبعين من أعوانه و وكلائه بالإضافة جمع تواقيع المئات من علماء وشيوخ الإسلام ممن حكموا بارتداد بن مكي وجرت محاكمته بتهمة الارتداد و إثارة الفتن .

و بما ان العادة المتبعة حسب المذهب الشافعي آنذاك " كانت تقضي بترك المرتد أو الزنديق عاما واحدا في السجن قبل إعدامه على أمل ان يتوب ويرجع عن ذنبه " فقد طبق هذا الأمر على ابن مكي و قد أفتى احد قضاة دمشق ويدعى " برهان الدين الشافعي " باستتابته ولكن قاضي القضاة رفض هذه الفتوى و أمر بإعدام محمد بن مكي. وعليه فقد جرى في اليوم التاسع من جمادي الاول لسنة 687هـ ضرب عنق أول رجل دينٍ شيعي قال بولاية الفقيه ونصب نفسه نائبا للإمام الغائب.

ويتبين من مراجعة المصادر التاريخية التي تناولت هذا الموضوع " وأغلبها مصادر شيعية ومن أبرزها كتاب " هجرة علماء الشيعة من جبل عامل الى إيران في العصر الصفوي - لمؤلفه مهدي فرهاني منفرد " ان محمد بن مكي لم يكن مجرد رجل دينٍ شيعي يطرح مسألة فقهية معينة شأنه شأن أي فقيه آخر " بل أن الرجل كان يحمل مشروعا سياسيا ذو بُعد عقائدي يهدف من وراءه الوصول الى السلطة عن طريق إثارة العصيان والثورة المسلحة . ومن هنا يتبين سبب عدم تبني أياً من المرجعيات الشيعية التقليدية لنظرية ابن مكي طوال العقود التي أعقبت مقتله " وذلك لقناعة هذه المرجعيات بأنها نظرية مناقضة لأصول العقيدة إضافة الى استحالة تحقيقها.

لقد ربط الخميني مشروع تصدير الثورة بموضوع ولاية الفقيه المطلقة وعمل النظام الإيراني على تأسيس تنظيمات وأحزاب عديدة في البلدان و الدول العربية والإسلامية على قاعدة الإيمان بولاية الفقيه المطلقة "وقد اعترف أمين عام حزب الله في لبنان حسن نصر الله أثناء أحداث بيروت الدامية في مايو/ أيار 8002م بذلك صراحة حين قال: " يتصورون إنهم يهينوننا عندما يقولون حزب ولاية الفقيه. افتخر ان أكون فردا في حزب ولاية الفقيه". وهذا يؤكد مرة أخرى ان " ولاية الفقيه " ليست مسألة فقهية دينية وإنما هي حزب سياسي يبيع نفسه استخدام كافة السبل والوسائل لتحقيق غايته.

من هنا يمكن فهم سبب حماسة حسن نصرالله ورجال الدين اللبنانيون الشيعة لنظرية ولاية الفقيه وتبعيةهم الكبيرة لإيران ونظامها الشيوعي. فبعد الجدل الذي اعقب مرض المرشد الأعلى لإيران علي خامنئي حول من يخلفه في هذا المنصب، طرحت اسماء عدة لخلافته من بينها اسم شقيقه "آية الله محمد خامنئي" واسم رئيس مجلس

تشخيص مصلحة النظام "هاشمي رفسنجاني"، بالإضافة إلى أسماء كل من، رئيس السلطة القضائية السابق محمودهاشمي شاهرودي وأمين عام حزب الله اللبناني حسن نصرالله.

وحسب مصدر في مجلس خبراء القيادة فإن هناك اتجاه داخل الدوائر المغلقة يميل إلى اختيار حسن نصرالله كأفضل المرشحين لخلافة خامنئي ويعزو ذلك إلى عدة أسباب منها:
اولا: أن الشخصيات الإيرانية المقترحة لشغل منصب ولاية الفقيه حولها خلاف بين الفرقاء ولا يوجد بينها اجماع لحد الان على شخصية معينة.
ثانيا: أن إيران بحاجة للإبقاء على قوة نفوذها في الطائفة الشيعية وتمددتها في العالمين العربي والإسلامي.
ثالثا: أن إيران بحاجة إلى نقلة نوعية في جمهوريتها الثالثة ولهذا لا بد أن تكون هذه النقطة في رأس الهرم.

من هنا فإن اختيار حسن نصرالله يكون الخيار الافضل لشغل هذا المنصب للأسباب التالية:
اولا : لقطع الطريق على الجناح البراجماتي الاصلاحى الذي يتزعمه هاشمي رفسنجاني الذي دعى مؤخرا إلى تغيير منصب ولاية الفقيه إلى مجلس شورى الفقهاء.

ثانيا.الدفع بإيران إلى الأمام باعتبارها دولة لجميع الشيعة وليس جمهورية للإيرانيين فقط.
ثالثا: أن حسن نصرالله ينحدر من ذات المنطقة والمدرسة (جبل عامل) التي ابتكرت نظرية ولاية.
رابعا: ان حسن نصرالله مقيد ضمن قوائم قيادات الحرس الثوري الذي يهيمن على مقاليد الامور في ايران و يدير مشروع تصدير الثورة و هو قد اثبت ولائه لايران حيث كان من اوائل الشيعة اللبنانيين الذين التحقوا بالثورة الايرانية وزعيمها الراحل الخميني , وقد درس في حوزة قم الدينية ويتكلم اللغة الفارسية بطلاقة , اضافة الى انه يحظى بدعم المرشد الاعلى " علي خامنئي " والقوى الموالية له ومنها قوى البازار وبعض مرجعيات الحوزة الدينية المتنفذة.

ومن هنا يمكن فهم سبب الهالة التي اصبحت تلقى على حسن نصرالله والمهام التي انيطت به في ما يخص رعاية جماعة الحوثي في اليمن , ودور حزب الله الذي يتزعمه في الحروب الدائرة في سورية والعراق.

ولكن هناك من يشكك بإمكانية ان يكون غير فارسي زعيما لايران. وهنا نود ان نشير الى ان إيران ومنذ خمسة قرون على الأقل لم يحكمها الفرس . فالصفويون كانوا اترك اذريين وحكموا ايران مدة طويلة (1501- 1785 م). ثم اعقبهم الدولة الافشارية التي حكمت من عام 6371 حتى عام 1796 كانت اسرة تركمانية ,ثم حكم القاجاريين من عام 1794 حتى 5291 وكانوا كذلك اترك اذريين. وكذلك الاسرة البهلوية التي حكمت ايران من عام 1925 حتى عام 9791م لم تكن اسرة فارسية . اما روح الله المصطفوي الهندي (الخميني) الذي تزعم الثورة الايرانية التي اطاحت بحكم الاسرة البهلوية وأسس الجمهورية الايرانية , فهو الاخر لم يكن فارسيا بل كان من اصول هندية كما هو مدون في سجله المدني وفضله الفرس على كثير من رجال الدين الفرس البارزين . وهكذا الحال مع المرشد الحالي علي خامنئي فهو ينحدر من اصول تركية اذرية ايضا.

فاذن لا غضاضة لدى الفرس من ان يحكمهم غير فارسي طالما انه ملتزم بالمنهج الفكري والثقافي الفارسي , و متمسك بالدفاع الهوية القومية والعقائدية , والمصلحة العليا لإيران.

كاتب المقالة : صباح الموسوي

تاريخ النشر : 13/05/2015

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com